

الأبعاد التواصلية والمضامين الخفية للأغنية الشعبية الجزائرية في منطقة الغرب

The communicative dimensions and hidden contents of the popular song in west Algeria

كريمة جنادي¹¹جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة

تاريخ الاستلام : 2018/11/30 ؛ تاريخ المراجعة : 2020/ 01 /23 ؛ تاريخ القبول : 2020/03/31

ملخص:

تعتبر الأغنية الشعبية الجزائرية طيفا من أطراف التنوع الثقافي الجزائري، ومنبرا من منابر التواصل الثقافي بين مختلف أطراف المجتمع، فهي ترنيمات شعبية وبلهجة عامية يفهمها أفراد المجتمع ويتداولونها في مختلف مناسباتهم كما تعتبر أيضا معلما أصيلا في شخصية الشعب الجزائري وجواز سفر لكل مسافر عبر بقاع الوطن فهي بهذا وسيلة للتواصل والتقارب لأبناء المجتمع الجزائري فيما بينهم، وانتقال لمعارفهم وعاداتهم وطبوعهم عبر هذه الاداة الاتصالية الفعالة، بين وكل هذا راجع إلى أن التواصل الثقافي أفراد المجتمع الواحد أداة وسلاح لتلاحمه، إضافة إلى أن التواصل الثقافي لم يعد محظورا فقط بما تركه الأول للثاني، بل أصبح مرتبطا بالسلوك البشري البحت والحياة الحضارية للأفراد والجماعات، وأصبح أيضا يعتبر مخزونا غنيا يعود إليه الفرد لإغناء طاقاته الكامنة وتجربته.

وتنتشر الأغنية الشعبية عبر كافة التراب الجزائري، فجد في الشرق الأغنية الشاوية والسطايفية، أما في الغرب الأغنية الوهرانية الراقية في مضامينها ودلالاتها، وفي الشمال فتظهر الأغنية العاصمية والقبائلية، وفيما يخص الجنوب فيختص في الأغنية الصحراوية، الترقية، وكل نوع من هذه الأنواع له ما يميزه للتعبير عن ثقافة وانتماء المجتمع، لذلك نبحث عن البعد التواصلية للأغنية الشعبية الجزائرية بمنطقة الغرب الجزائري من خلال التحليل السيميولوجي للأغنية الشعبية المتداولة بهدف الوصول إلى لأبعادها ومضامينها الخفية وعلاقتها بالتواصل الثقافي، نسعى للكشف عن القيم والمعاني التي يحملها نص الأغنية الشعبية.

الكلمات المفتاح : الأغنية الشعبية، البعد التواصلية، التواصل الثقافي.

Abstract :

The Algerian folk song is a spectrum of Algerian cultural diversity and a platform of cultural communication between the various parties. It is a popular song and a popular dialect that is understood by the members of the community and traded in various occasions. It is also an authentic milestone in the personality of the Algerian people and a passport for every traveler across the country . it is a means of communication and rapprochement with the members of the Algerian society among themselves, and the transfer of their knowledge, customs and practices. It is also considered as a mean of cultural communication among members of one society, and a tool for cohesion, Moreover, cultural communication is no longer restricted to the first, It has become linked to the pure human behavior and civilized life of individuals and groups, and is also considered a rich store for the individual to enrich and experience his potential.

The popular song is spread across all Algerian soil. In the east we find the Chaouian the Stayfian song. In the west, the oranian song which is rich in its content and its significance. In the north, the northern and tribal songs are heard. In the south, It distinguishes it to express the culture and belonging of the community, we try to talk about the communicative dimension of the Algerian folk song in the western region of Algeria through the sémiotique analysis oof th popular songs in order to reach its dimensions and hidden contents and its relation to cultural communication. We seek to reveal the values and meanings of the popular song.

Keywords : popular song, cultural communication, communication dimension, values.

I - تمهيد :

لقد أصبحت دراسة التراث المادي واللامادي من بين أهم الدراسات التي تحظى باهتمام بالغ لدى الباحثين والخبراء، وذلك لاعتبار التراث من الأساسيات التي تبنى عليها المجتمعات، وهذا لتلاحمه العضوي والفكري بين عراقة الماضي وأمجاد الحاضر ومن هذا يخلق سبيلا للتفاعل نحو المستقبل، ولهذا حظي التراث الشعبي بمكانة عالية في جل المجتمعات وهذا باعتباره جزءا هاما من الثقافة الشعبية، التي هي بؤر اهتمام هذا العلم بكل جوانبه الروحية والاجتماعية وحتى المادية والفكرية، إضافة إلى أن هذا العلم هو دليل وجود الأمة باعتباره دعامة الثقافة والذاكرة المحركة للشعب، والتراث الشعبي لأي أمة ما هو إلا تراث مشترك بين جميع أبنائها ومناطقها، وهذا لتعبيرها عن ضميرها الجمعي، وترسيخ قيمها الحضارية وإثراء لتراثها المشترك بالبيئات ومنطلقات المجتمع مع مناخها وتضاريسها وإنتاجها.

ومن بين أجنود أنواع التراث اللامادي المعبر أحق التعبير عن أصالة وهوية المجتمع، نلتمس الأغنية الشعبية التراثية؛ التي هي فن وتعبير عن مختلف نواحي حياة الفرد، فهي التي تردد في مختلف الأوقات، إضافة إلى كونها هادفة تخاطب الاحساس والوجدان والعقل، وترمي إلى الرجوع إلى الأصل والى العادات والتقاليد، بحيث تتزوج مع اللحن كأهم لون من ألوانها، وتحمل هموم أصحابها ومتداوليها كما أنها تعبر عن الآمهم وأفرحهم وأحزانهم وكل مظاهر حياتهم، كما تعبر الأغنية عن البيئة التي يعيشون فيها.

وللأغنية الشعبية دور وأهمية لا يفصل فيها عن التواصل الذي هو نقل للأفكار والكلمات عبر الأجيال، وهذا من خلال كلماتها ومعانيها ومضامينها الخفية، وهي بهذا تزيد من رابط التعارف والاندماج بين الحضارات والمجتمعات ومنه تنتقل الأجيال الثقافة وتزيد محافظة عليها.

وتعتبر الأغنية الشعبية الجزائرية وبالأخص التراثية طيفا من أطراف التنوع الثقافي الجزائري، ومنبرا من منابر التواصل الثقافي بين مختلف أطراف المجتمع، فهي ترنيمات شعبية وبلهجة عامية يفهمها أفراد المجتمع ويتداولونها في مختلف مناسباتهم كما تعتبر أيضا معلما أصيلا في شخصية الشعب الجزائري وجواز سفر لكل مسافر عبر بقاع الوطن الجزائري، وهي بهذا وسيلة لتواصل وتقارب أبناء المجتمع الجزائري فيما بينهم، وانتقال لمعارفهم وعاداتهم وطبوعهم عبر هذه الأداة الاتصالية الفعالة، وكل هذا راجع إلى إن التواصل الثقافي بين أفراد المجتمع الواحد أداة وسلاح لتلاحمه، إضافة إلى أن التواصل الثقافي لم يعد محصورا فقط بما تركه الأول للثاني، بل أصبح مرتبطا بالسلوك البشري البحت والحياة الحضارية للأفراد والجماعات، وأصبح أيضا يعتبر مخزونا غنيا يعود إليه الفرد لإغناء طاقاته الكامنة وتجربته، وانتشار الأغنية عبر كافة التراب الجزائري وفي مختلف الطبوع، لدليل قاطع على ازدهار الجزائر بتنوع ثقافي وحضاري، فنجد في الشرق الأغنية الشاوية والسطايفية، أما في الغرب فنجد الأغنية الوهرانية الراقية في مضامينها ودلالاتها، وفي الشمال تظهر الأغنية العاصمية والقبائلية، وفيما يخص الجنوب فهو مخصص للأغنية الصحراوية، الترقية، وكل نوع من هذه الأنواع له ما يميزه للتعبير عن ثقافة وانتماء المجتمع، نحاول من خلال ورقتنا البحثية التطرق إلى الأغنية الشعبية الجزائرية بمنطقة عين النقلي بالغرب الجزائري من أجل معرفة أبعادها التواصلية ومضامينها الخفية وقد قمنا بتحليل نص الأغنية الشعبية الدينية التي تحمل عنوان (مولود النبي)، والتي تنتشر كثيرا في هذه المنطقة حيث يتغنى بها النسوة والأطفال فرحا بذكرى المولد النبوي الشريف، فتطرقنا من خلال المداخلة إلى التعريف بالأغنية الشعبية والأغنية الشعبية في الجزائر، كما تعرضنا إلى علاقة الأغنية الشعبية بالتواصل الثقافي، بعد ذلك تطرقنا إلى التحليل السيميولوجي لنص الأغنية الشعبية الدينية (مولود النبي)، بتوظيف المقاربة السيميولوجية لرومان جاكسون حيث طبقنا الوظائف الستة للتواصل أو ما يعرف بالخطاطة التواصلية لجاكسون، لنصل إلى نتائج التحليل السيميولوجي للأغنية الشعبية الدينية، لنختم بعدها عملنا بالتأكيد على دور الأغنية الشعبية في التواصل الثقافي.

1.I- الأغنية الشعبية:

إن الأغنية الشعبية هي شكل فني أدبي له صدى كبير في الأوساط الشعبية، وتعني كلمة الشعبية الارتباط بالشعب، فقد التصقت بجميع مناحي حياته، كما تغنت بقيمته الروحية والأخلاقية ولكل شعب أغاني خاصة به و نابعة من أوساطه وتعكس هويته، وهي تشكل كلها تراث المنطقة بالنسبة لمناطق الأقطار الوطنية التي تتواجد بها الأغنية الشعبية كتراث عريق، كما تعتبر الأغنية الشعبية نمط من أنماط التعبير الشعبي تؤدي وظيفة خاصة في حياة الشعب وتختلف عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبي في كونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معا، لا عن طريق الكلمة لوحدها¹ حيث أورد الباحث أحمد مرسي تعاريف عدة في كتابه "الأغنية الشعبية" منها ما هي لباحثين أجانب ومنها ما هي له إذ انه يقول عنها هي الأغنية المرردة التي تستوعبها الجماعة، تتناقل آدابها شفاهيا ونصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي²، كما تعتبر أيضا ركنا من أركان ثقافتنا وصفحة تعكس جانبنا من عاداتنا وتقاليدنا، فهي مرآة صافية يعكس عليها المجتمع حيث تصويره تصويرا دقيقا دون مبالغة، بل إنها ترفض أي عنصر يتصف بالمبالغة في تصوير هذا الواقع³ ويمكننا أن نقول بعد عرضنا لهذه المجموعة من التعريفات أن الأغنية الشعبية هي شكل فني يتميز بلغة سهلة بسيطة كما ترتبط مباشرة بالشعب وتنقل من خلالها الصورة الواقعية لطبيعة العيش في هذا المجتمع فهي السمة والكلمة وكذا اللحن الذي يعبر به أفراد المجتمع عن خلجاتهم و كل مشاعرهم اتجاه العصر الذي ينتمون إليه وهم بهذا يتداولونها مشافهة فتبقى راسخة الأذهان، كما أنها تنقل عاداته وثقافته إلى أجيال لم تشهد تلك الحقبة التاريخية المليئة بالمحافل التاريخية المؤثرة.

وتختلف الأغنية الشعبية شكلا ومضمونا، باختلاف الزمان والبيئة، فكونها تعبير بسيط عن آمال وآلام الشعوب نجدها تختلف من منطقة إلى أخرى اختلافا يساير الأحداث التاريخية والاجتماعية والسياسية للشعوب، فهي حاضرة مع الإنسان في كل المناسبات الدينية والاجتماعية والعملية والسياسية، تخفف عنه الألم في مواضيع الحزن وتزيد من سعادته في مواضيع الفرح، ومن حيث الشكل فنشير هنا إلى شكلين أساسيين من الأغاني:

❖ الأغاني الفردية :

هذا النوع من الغناء الفردي قد يؤديه المرأة أو الرجل وخير مثال عن ذلك عند ركوب الرجل الفرس ويسمى في الغرب الجزائري بالتعياط؛ من العياط أي الصياح أو المناداة، وهو نوع من الموال تتميز به مناطق الغرب والشرق الجزائري في المناسبات كالوعدة والإعراس؛ حيث تبدأ جماعة الفرسان في السماع إلى تعياط أحدهم وعند نهايته تطلق نار البنادق وتشرع النسوة في الزغاريد، وكثيرا ما يكون الغرض منه هو رثاء الأصدقاء أو الأعيان، والنعي على ما أصاب الحياة من تخلخل في القيمة الأخلاقية من ناحية، أو الإشادة بالسلوك الذي يتسم بالرجولة والأصالة من ناحية أخرى، وتقول الباحثة نبيلة ابراهيم "إن أفضل ما يلائم الغناء الفردي في هذه الحالة، هو الموال كذلك تؤدي من طرف امرأة واحدة من خلال دندنتها وهي تعبر عن نفسياتها الداخلية من فرح أو حزن مثل غناء العجائز والألحان الايقاعية للأطفال⁴ ونجد من بين هذه الأغاني ما يلي:

ياربي سيدي...وش عملت أنا لوليدي ربيتو بيدي...وداتو بنت الرومية...وش بعث خلاخل
...كبرتو حتى ولي راجل هرب لي عادل...و الطيارة درقت عليا⁵

وأیضا نجد:

شيخ قاعد في كدية عالية....صاب خيتوا ماتت مسكين...دار روحو ولا براني وراجع مع الدفانين...أنا
نساكم يا حماروا وصدقولوا وحدا للقليل....لاخرة راهي ترجاكم وعظمولوا لجر مسكين مسكين⁶

❖ الأغاني الجماعية:

تتسم الأغاني الجماعية بنفس خصائص الأغاني الفردية شكلا ومضمونا غير أنها تؤدي في شكل جماعي، تقوم به مجموعة من النساء أو الرجال وتُغنى حسب مواضيع الأغنية ومناسبتها، وتكمن وظيفتها في الترفيه والتسلية من جهة والإرشاد بالقيم الأخلاقية والاجتماعية من جهة أخرى.

ومن بين هذه الأغاني نجد :

صلوا على رسول الله والحال عزم.... و الله يالي مصلى غير يندم.... صلوا على بن يمينه جد الرسالة

..فاطمة وجد الحسين وبلقاسم.... صلوا على بن يمينه و الناس راهم جاروا.... في كل يوم فيازوار

قول راهي جات... يا موبية و بيا تبدي من عود خشبة ممدودة و ربي يعلم

الأغنية الشعبية الجزائرية تلاحق ثقافي وتزواج لغوي بين القبائل العربية الحضرية والبدوية والتأثير الأندلسي والقبائل الأمازيغية، هذا هو الواقع الذي يعرف منه القوالون والطلبة لتغذية سامعيهم، هذا هو واقع الثقافة التي تتغذى منها معظم العائلات العربية القبائلية بشمال إفريقيا، كما سميت هذه القصائد الشعبية بالزجل والملحون، وأشهرها الملحون في الجزائر والشعر الملحون يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهولا و القائل للشعر قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى .

ونجد أنواعا عديدة للأغنية الشعبية في الجزائرية على رأسها الأغنية البدوية، الأغنية الصحراوية، الأغنية الشعبية العصرية، وغيرها من الأنواع التي تختلف في المضامين، فنجد الأغاني الدينية التي تأخذ طابع الدعاء والتضرع إلى الخالق و كذلك طابع المديح للرسول صلى الله عليه وسلم، وأغاني العمل جماعية يرددتها النساء والرجال، وتؤدي أغنية العمل دورا هاما في الترويح والتخفيف من العناء ، ونجد

(يا محمد هاي سيدي صلى الله عليك نيدا... يا محمد هاي سيدي وصلاتك هي العمدا ..يا محمد ها

الماحي كي طلنت شمسك في مراحي...الظلمة و الحال صاحي فيذكك الليلة عظيمة...من هذا لهذا جات

جات لالة العروسة يا لبنات...جات جات جيبوا الحنة و الزغراتات)،

و الأغاني الثورية تعد شكلا من أشكال التعبير التي جادت بها قرائح الفئات الشعبية المسحوقة ، لتصور لنا ببراعة فريدة ما كابده المواطن من مصاعب ومحن، والتي تم نسجها في كلمات وترانيم تدق لها القلوب و تقشعر منها الأجساد وتلهب في النفس الحماسة والحمية الوطنية ناقلة لنا صورا حية عن جرائم المستعمر في حق شعب ذنبه الوحيد المطالبة بحقه الشرعي، والمتمثل في الحرية، فكان الأغنية الثورية مرآة عاكسة لواقع مأساوي رهيب ومن بين هذه الأغاني نلتمس

(سي لخضر و سي بوعلام يمشوا بالنجمة و الهلال و فرنسا تبكي كي النساء

سي لخضر يمشي كي الريح يضرب الطائرة أطيح سي لخضر و سي عاودو و سي لخضر ربي يعاونوسي

لخضر يمشي فالقمر يذبح و يقيس في الرمل).

وتختلف الأغنية الشعبية وتتنوع حسب مواضيعها فهي تعبير صريح وطوعي للحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع فالشاعر الناظم للقصائد المغناة لاحقا، ما هو إلا فرد بسيط من هذا المجتمع يعبر بقصائده عما يسود هذا المجتمع أو ذلك، كما تحمل عادات وخرافات ومعتقدات متنوعة، ويمكن تقسيم هذه المواضيع وفقا للوظيفة والمضمون إلى ثلاثة أقسام، الأغاني الدينية، أغاني العمل وأغاني الأفراح بالإضافة إلى أغاني الحماس الثوري.

• الأغاني الدينية :

ترتبط الأغاني الدينية بالشعائر والطقوس الدينية، فهي تارة تأخذ طابع الدعاء والتضرع إلى الخالق وتارة طابع المديح للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن بين أغاني التضرع إلى الله سبحانه وتعالى من التراث الجزائري القديم نجد هذه

الأغنية التي تردها مجموعة من النساء عندما يحل الجفاف و تقبض السماء بركتها ،حيث تنقسم النسوة إلى مجموعتين ترد الواحدة على الأخرى..

النعجة عطشانة بلها يا مولانا

المعزة عطشانة بلها يا مولانا

الشجرة عطشانة بلها يا مولانا

السبولة عطشانة بلها يامولانا

وهناك أغاني دينية أخرى بمناسبة المولد النبوي الشريف حيث تتجمع النسوة ليلة المولد النبوي الشريف في إحدى المنازل من أجل تأدية أغان خاصة بالرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" ، وقد اخترنا في دراستنا أغنية شعبية دينية بعنوان (مولود النبي).

• أغاني العمل:

هي أغاني جماعية يردها النساء و الرجال أثناء تأدية الأعمال، وتتمثل هذه الأغاني على شكل دندنات لأغاني قديمة تطول مع طول العمل، ولهذا نجد أن أغنية العمل قد تفقد الوحدة الموضوعية، وتؤدي أغنية العمل دورا هاما في الترويح والتخفيف من العناء، كما أنها تؤدي بدون آلات موسيقية ونجدها منتشرة جدا في منطقة القبائل الكرى خاصة مع النسوة في موسم جني الزيتون.

• أغاني الأفراح:

هي أغاني مرتبطة بالمناسبات والأعياد والأفراح، وهي على عكس الأغاني الدينية وأغاني العمل تخرج إلى نطاق الإيقاع الغنائي والرقص، مضافية بذلك جوا من السعادة والابتهاج إلى جانب الترفيه وغالبا ما تؤدي أغاني الأفراح بشكل جماعي من طرف النسوة في مجموعتين متقابلتين ترد احدهما على الأخرى وهو ما يعرف في الغرب الجزائري بأغنية الصف،ومن بين أغاني الأفراح التي تردها النسوة :

جات جات لالة العروسة يا لبنات

جات جات جيبوا الحنة و الزغراتات

دخلوها بالجاه العالي ألالة2

لالة لعروسة و تشالي ألالة 2

بالقمره علي ديري دارة 2

لالة لعروسة يالنواره

بالقمره علي وديري توتة 2

لالة لعروسة يالياقوتة 2

زغرتوا يالبنات أعليها ألالة2

مولانا ربي يحميها 2

ألاواه ألاواه الشفاعة رسول الله ألاواه

وفي هذا المجال ايضا نجد اغنية خروج العروسة من بيت ابيها

آه يا لالي لالي لال يالميمة رخصت عليك ومديتيني يا لحنينة

يا لميمة جاو الخطابة يا لميمة شاوريني و الراي لبابا يا لحنينة

يا لميمة ما حبيتوش يا لميمة شلب صغير ما نعرفوش يا لحنينة

**بالاربعا حنيتيلي يا لميمة و بالخميس صدرتيني يا لحنينة
بالخميس صدرتيني يا لميمة و بالجمعة خرجتيني يا لحنينة**

• الأغنية الثورية :

تعتبر الأغنية الشعبية الثورية شكلا من أشكال التعبير التي جادت بها فئات الشعب المسحوقة، لتصور لنا ببراعة فريدة ما كابده المواطن من مصاعب و محن، والتي تم نسجها في كلمات وترانيم تدق لها القلوب وتقتشر منها الأجساد و تلهب في النفس الحماسة والحمية الوطنية ناقلة لنا صورا حية عن جرائم المستعمر في حق شعب ذنبه الوحيد المطالبة بحقه الشرعي، والمتمثل في الحرية، فكانت الأغنية الثورية مرآة عاكسة لواقع مأساوي رهيب ومن بين هذه الأغاني نلتمس:

سي لخضر و سي بوعلام
يمشوا بالنجمة و الهلال
و فرنسا تبكي كي النسا
سي لخضر يمشي كي الريح
يظرب الطيارة أطيح
سي لخضر و سي عاودو
و سي لخضر ربي يعاونو
سي لخضر يمشي فالقمر
يذبح و يقيس في الرمل

2.I - الأغنية الشعبية والتواصل الثقافي:

تعرف الثقافة على أنها "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وهي التي تجعل منه كائنا يميز بالإنسانية، المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والإلتزام الأخلاقي، وعن طريقها (الثقافة) نهتدي إلى القيم ونمارس الإختيار، وهي وسيلة الانسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإعادة النظر في انجازاته، والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وابداعات وأعمال يتفوق فيها على نفسه"⁷، وانطلاقا من هذا المفهوم يمكن الحديث عن الثقافة الشعبية والتراث الشعبي والموروث الفني الذي يعتبر حصيلة تراكم حضاري ، نسعى من خلاله إلى غرس الإلتزام بمعايير هذا النسق الحضاري وتأصيله في قيم الأجيال الراهنة من خلال التنشئة الثقافية من خلال الطابع الغنائي الشعبي الذي يعتبر عاملا أساسيا من عوامل تنمية الفرد، إذ تؤدي الأغنية الشعبية دورا حاسما في بناء الشخصية الأصيلة ، وتساهم في خلق تنشئة اجتماعية، تراهن على سلامة مقوماتنا التراثية في التعريف بالتاريخ الشفاهي للأمة في حال نسيانه من الذاكرة الشعبية بفعل تطور الزمن وتعاقب الأجيال، لذلك يجب أن تولي المؤسسات الثقافية والحركات الاجتماعية دورا فعلا في الثقافة بوصفها عاملا يتولى طريقة غرس الحس التراثي في الجيل الواعد والبراعم الفتية من خلال الأغنية الشعبية التي مازالت توأكب دورة حياة الانسان منذ النشأة.

II - المقاربة التحليلية السيميولوجية للأغنية الشعبية:

وتحليلنا للأغنية الشعبية بمنطقة الغرب الجزائري كان بعد مقابلاتنا العديدة مع كبارها من مجاهدين ومجاهدات لا يزالون يذكرون تاريخ المنطقة وغناها الثقافي ويسعون إلى المحافظة عليه بنقله إلى الجيل الجديد، وقد استعنا في تحليلنا

للأغنية الشعبية بالتحليل السيميولوجي الذي يهدف إلى إعادة تشكيل نظام المعاني والدلالات والكشف عن تفسير منطقي لوظيفة البنى الدالة في العمل الفني، كما أن السيميولوجيا ساهمت بقدر كبير في تحديد الوعي النقدي، من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى⁸، ويتجلى ذلك في تعريف ميشال فوكو للسيميولوجيا بأنها: مجموع المعارف والتقنيات التي تسمح بتعرف العلامات، وبتحديد ما يجعل منها علامات، ومعرفة العلاقات القائمة بينها وقواعد تأليفها⁹، والدراسة السيميولوجية بالمعنى الدقيق تعود إلى بيرس وسوسير، فقد لخص سوسير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" السيميولوجيا على "أنها العلم الذي يدرس العلامات في كنف الحياة الاجتماعية"¹⁰، ورولان بارث فيعتبر السيميولوجيا شكلا من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسالة الأيقونية أو الألسنية، إذ يلتزم فيه الباحث بالحياد اتجاه رسالة ما، ويسعى إلى تحقيق التكامل من جهة أخرى من خلال التطرق إلى جوانبها الأخرى والمدعمة للتحليل، وعليه يجب معالجتها من خلال تحديد وضعها ووظيفتها في إطار نظام المعنى¹¹.

كما يرى الباحثون في مجال السيميولوجيا أن التحليل السيميولوجي يسمح بالوصول للدلالة الحقيقية "الخفية" وأن كل من المدلولات والدوال هي نتاج ثقافة معينة¹².

نص الأغنية الشعبية الدينية مولود النبي:

هذا مولود النبي صلوا وسلموا عليه... واش ولدي يايمنة عمرتي داري... سيدي محمد أصبح في
 دواري... يمينة شدت بالحبل و حلما رباتوا... يامن عاش و شاف النبي و رالي صفاتوا... لازمة 2
 هذا مولود النبي صلوا وسلموا عليه... واش ولدي يايمنة عمرتي داري... سيدي محمد الحبيب أصبح
 في دواري... يمينة شدت بالحبل و حلما رباتوا... يامن عاش و شاف النبي و رالي صفاتوا... عينو
 كحلى مغجى و الشوشا وتاتوا... هذا مولود النبي صلوا وسلموا عليه... واش أولدي يايمنة عمرتي
 داري 2... سيدي محمد الحبيب أصبح في دواري... قبتي يا عائشة 2 ياخضرا النقايشا 2... ياسيدي محمد
 ما عزوا علينا 2 و الوردة في ماها 2 و السيسان حذاها 2... و الشيوخا ما ذبحت ما بخرولو بالحلال
 ... يما يما كحلي بالمروود نخرج برا نشوف سيدي محمد... يدو حمرا بالخواتم و الحنا تقدي أمة على أمة
 محمد... هذا مولودنا يفرح بينا في مكة و المدينة... يا طيور الي طاروا في السما راحوا زاروا
 ... يا حجاج بيت الله إلا شفتوا رسول الله... شفتناه وريناه في مكة خليناه... يتوضا و صلي و يقرأ في
 كتوب الله... قبتي يا عائشة يا خضرا النقايشا 2... يا سيدي محمد محمد ما عزوا علينا علينا... و الوردة
 في ماها ماها و السيسان حذاها حذاها... و الشيوخا ما ذبحت ما بخرولو بالحلال... يما يما كحلي
 بالمروود نخرج برا نشوف سيدي محمد... يدو حمرا بالخواتم و الحنا تقدي أمة على أمة محمد... صلوا
 عليه أبا الزهرا محمد رسول الله... صلوا و سلموا بالثغرا للحبيب الحي القادر... هو اشفيح يا لحضرا
 يوم الحساب لنا يحضر... يوم الزحل يوم الخضرا شفيح هذا المعشر... يوم الوقوف راجل و مرا نرجوه كل
 و اصب و حرا... تكفوا ضياء البصرا بالمساكين بالجبابلة... كي العالم كلي يظل يقرأ من كامل الكتوب
 حاضر مسطر... صلاتي عليك ألف مرا و نقول أقليل فيك واش اتغير...

جاءت الأغنية الشعبية الدينية تحت عنوان "مولود النبي"، إذ أن هذا العنوان يحمل إقرارا حتميا بمدى عظمة اليوم المتحدث عنه "وهو مولد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم"، كما ذكرت كل من يمينة وهي أمانة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وحليما وهي حليلة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أنها سهرت على تربيته و رعايته وتولي شؤونه، وهي أغنية شعبية كثيرة التداول بمنطقة الغرب الجزائري في فترة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كل سنة حيث يغنيها الأطفال وكذلك النساء عشية الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم.

II- التحليل السيميولوجي للأغنية الشعبية :

1. **الوظيفة التعبيرية**: تتعلق الوظيفة التعبيرية بالمرسل، والمرسل في هذه الأغنية الشعبية هو كاتب كلماتها وهو شخص مجهول لأنها تصنف من الأغاني التراثية التي تتداول عن طريق المشافهة، إلا أنه يمكن اعتبار الأشخاص الذين يؤدونها في مناسبات معينة (النساء، الأطفال...) مرسلًا، وتظهر الوظيفة التعبيرية من خلال مجموعة لانطباعات والانفعالات والمشاعر والعواطف التي تظهر على المرسل أثناء أداءها والتي تبرز مكانة وقيمة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

2. **الوظيفة التأثيرية**: وهي ترتبط بالمرسل إليه، ويتمثل في جموع المستمعين، ولدى سكان منطقة عين الدفلى اهتمام كبير بالمناسبات الدينية، لذلك نجد العديد من الكلمات في هذه الأغنية تعمل على جلب اهتمام المرسل إليه وتوضح أهمية هذه المناسبة ويظهر فيها ضمير المخاطب "أنتم" ويمكن إبرازها في:

هذا مولود النبي صلوا و سلموا عليه....

صلوا عليه أبا الزهرا محمد رسول الله... صلوا و سلموا بالثغرا للحبيب الحي القادر... هو اشفيح يا لحضرا يوم الحساب لنا يحضر ...

أين نجد الأمر بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا في كل ذكر لاسمه مع التذكير بشفاعته لنا يوم القيامة، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات متعددة "محمد"، "أبا الزهرا"، "الحبيب".

3. **الوظيفة الشعرية**: وهي تتصل بالرسالة باعتبارها حاملة للمعنى، حيث تحمل العديد من الدلالات التي تكمل وتؤكد المعنى الذي يود أن يرسمه المرسل، وتبرز أهميتها من خلال إبراز المعنى الجمالي للموضوع الديني، بالإضافة إلى غناها بالعلامات التي أضفت للمسمة الجمالية على الموضوع، حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأجمل الصفات، وهناك العديد من الألفاظ الموجودة في نص الأغنية الشعبية الدالة على ذلك حيث وظفت الألفاظ التي تعتمد في تراثنا كـ (العين الكحلا، الشوشا، الحناء)، كما برز الجانب الجمالي في طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في المنطقة ويظهر ذلك في (الحناء، الورد، السيسان، البخور، الكحل...)، كما اعتمد فيها على التكرار ويتمثل ذلك في المقطع: "ياسيدي يا محمد ياسيدي يا محمد، ما عزوا علينا ما عزوا علينا، الوردة في ماها في ماها، والسيسان حذاها حذاها"، لظهور الفرحة الكبيرة بالمولد مع الورد والسيسان، كما نجد أن هناك تنوع في استخدام الصور البيانية في الشوق لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ونجد ذلك في: (يا طيور الي طاروا في السماء راحوا زاروا) أين شبه الحجاج الذين يزورون بيت الله ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بالطيور، أين يظهر حبهم وشوقهم لزيارته، ونجد أن هذه الوظيفة لخصت كل مظاهر الفرح والاحتفال الشعبي بالمولد النبوي التي لاتزال إلى يومنا هذا بالمنطقة.

4. **الوظيفة التوصيلية**: تتمحور هذه الوظيفة حسب رومان جاكبسون بالقناة الحافظة أو الوسيطة، وهذه القصيدة قنواتها الحافظة متمثلة في الذاكرة الجماعية لأفراد المجتمع وهي دائما في تواصل مستمر تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الحفظ والمشافهة، فنجد هذه الأغنية الشعبية الدينية متوارثة من جيل إلى جيل بمنطقة عين الدفلى، حيث يتغنى بها النسوة في المولد النبوي الشريف، وحتى في أفراح أبنائهم كحفلات الطهور.

5. **الوظيفة المرجعية**: هذه الوظيفة متعلقة بالموضوع و المرجع الذي تستند إليه، ونلاحظ أن المرجع الأساسي لها يتمثل في الاحتفالية بمولد النبي الشريف والتي تختلف من منطقة لأخرى.

6. **وظيفة تعدي اللغة**: ونجد في نص هذه الأغنية الشعبية مجموعة من الكلمات التي تطلب منا شرحها من أجل أن نعرف لما تم توظيفها ومنها نجد: "النقايشا" وهي الأداة التي يتم من خلالها رسم الحناء ونقشها على يد الأطفال، "الحلحال" وهو نبات عطري يستعمل كبخور يعطر البيوت، "المروود" وهو الأداة التي نكحل بها العين.

ونجد من الأبعاد التواصلية لهذه الأغنية الشعبية:

أولاً : المولد النبوي هو أعظم يوم في هذا الوجود ككل فهو الذي امتلأت الدنيا بنوره وضيائه، إضافة إلى أنه بعث شافعا للأمة الإسلامية ، حيث أن هذا المولود الذي جاء إلى الأمة جمعاء كانت قيمته و شأنه عالي في الوجود ككل وهذا لدليل قاطع على أهمية المولود ، و يكمن هذا في النص فيما يلي :

واش أولدتي يايمنة عمرتي داري ...

سيدي محمد أصبح في دواري....

فمن خلال هذين المقطعين نرى أن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم لم ينر بيت فقط وإنما أنار و أضاء العالم كله بقدمه .

ثانياً: من خلال هذه الأغنية الشعبية المتوارثة نلتمس الأمة الإسلامية تشناق إلى معرفة الصفات التي يتحلى بها النبي محمد صلى الله عليه و سلم ، وبمثل هذه الأغاني الشعبية التراثية تترسخ في ذهن الأجيال فكرة معرفة النبي واتباعه والتخلق بأخلاقه.

ثالثاً: تحمل الأغنية الشعبية العديد من القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية، التي ساعدت في تربية الأجيال أهمها: المحافظة على الترابط والتلاحم في المناسبات العائلية والدينية، إبراز دور الأم في تربية وتنشئة الأجيال باعطاء المثال بأمانة أم الرسول صلى الله عليه وسلم مربيته حليمة، وكذلك وسائل الاحتفال هي بسيطة تتكون فقط من التزين بالكحل والحناء ووضع البخور المعطر لكن تهدف إلى أبعد من ذلك وهو تأصيل القيم الإسلامية، وتربية الأجيال الناشئة على حبه ودفعهم للبحث في سيرته والاقتداء به.

IV - الخلاصة :

من خلال كل ما تم تناوله يمكننا القول بما أن الأغنية الشعبية الجزائرية التراثية هي عبارة عن تراث لامادي محمي عن طريق التوارث الذي تفتخر به الأمة الجزائرية وتعتر به كونها تعبر عن كل ما يجوب الحياة الإنسانية فمن خلال هذه الأخيرة يستطيع الفرد أن يتواصل ويتناقل معارفه و ادراكاته عبرها، فمن خلالها أيضا يستطيع الفرد الاندماج بين أفراد المجتمع الواحد و يتزاج بين أطرافها المختلفة؛ ومن خلال هذا يمكن للفرد أو المؤدي لها النوع الثقافي التراثي التعبير عن الخلجات النفسية و الاجتماعية وحتى الفكرية التي يندرج ضمنها .ومن خلال كل هذا فهو يعبر و يتواصل مع غيره من الأجيال، وهذا ما يعكس وبقدرته الدور الفاعل للأغنية الشعبية في التواصل الثقافي بين مختلف الأجيال والثقافات المتنوعة.

- الإحالات والمراجع :

- ¹ نبيلة براهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، د/سن، ص237
- ² فوزي العنتيل، بين الفلكلور و الثقافة الشعبية، د/ط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د/سن، 1978، ص247
- ³ احمد مرسي، الاغنية الشعبية، د/ط، الهيئة العامة للتأليف و النشر، د/سن، 1968، ص222
- ⁴ نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للنشر و التوزيع، القاهرة، ص234-236
- ⁵ أغنية من التراث الجزائري تتغنى فيها المرأة الجزائرية عن ابنها الذي ربه وأخذ الاستعمار الفرنسي للتجنيد الاجباري سنة 1912، منقولة عن طريق السماع
- ⁶ منقولة عن طريق السماع
- ⁷ محمد محفوظ، الحضور والمثاقفة (المثقف العربي وتحديات العولمة)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2000 ص 20)
الوثائق الرئيسية لإعلان مكسيكو بشأن الثقافة، مؤتمر اليونسكو للثقافة مكسيكو 06 يوليو/06 أغسطس، 1982، ص 8-9).
- ⁸ رولان بارث، ترجمة: منذر العياشي، نقد وحقيقة، مركز الانماء الحضاري، 1994، ص33.
- ⁹ M. Foucoute, **les mots et les choses**, Gallimard, Paris, 1996, p 44.
- ¹⁰ F. De Saussure, **cours de linguistique générale**, Payote, Paris, 1971, p 32.
- ¹¹ Roland Barthes, **Elements de sémiologie in revue communication n 04**, Edition Seuil, Paris, p 133.
- ¹² Judith Lazar, **La science de la communication**, Collection Que sais je ?, 2em ed, Edition Dahab, Alger, 1993, p 45.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

كريمة جنادي (2020)، الأبعاد التواصلية والمضامين الخفية للأغنية الشعبية الجزائرية في منطقة الغرب، مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 12(01)/2020، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 145-154.